نـافـذة

المشروع الإصلاحي... المارد الأدهم

يبقى السلاح في حالة صحو، ويبقى الإنسان في حالة وعي لمؤامرة تستهدف الوطن والإنسان، ويتحول، بل يجب أن يتحول كل المستولين الذين أرادوا خراب سورية الوطن على موائد المال والأعداء إلى مستولين حقيقيين بعد أن ينفضّ المولد، وينتهي توزيع الملبس على الحاضرين، احتفالاً من أسيادهم بالخلاص من ورطة كبرى، واحتفالاً من السوري المنتمي بأنه بقي محافظاً على سوريته وعلى شخصه ومبادئه المهمة التي لا تساوم على الوطن..

معركتان تؤديهما سورية في وقت واحد، المعركة الأولى الشرسة التي يشنها الأعداء والخونة، ولا تصنيف لهم سوى الخيانة، مهما حاولا أن يغيروا فيها وفي مسمياتها، وهذه المعركة كسبتها سورية، وكسبتها الدولة السورية، لتنتقل إلى مرحلة أخرى، وهي المعركة الثانية، وأظن أنها الأكثر أهمية، وتتمثل في البناء، وليس ما يقوله المتحولون وأصحاب شركات إعادة الإعمار، فالإعمار ممكن وسهل، ويحققه الإنسان ببساطة وسهولة، بل يمكن أن تحققه شركات متمولة بالأجر، أما إعادة البناء فهي العملية الأكثر دقة والأكثر خطورة وأهمية.

السوري الذي استطاع أن يفشل جميع المخططات المتآمرة، والذي عمل بلا هوادة خلال سنوات الحرب الطويلة فحافظ على نسيج المجتمع السوري يستحق أن يتم الالتفات إليه من الدولة السورية، ليكون هو عماد البناء، ولا يخفى أن بناء الإنسان أهم عشرات المرات من إعمار المدن.

والذي لا ريب فيه أن هذه الحرب أدت إلى أشياء خطيرة في المفاهيم، ونقلت أناساً من مواقع إلى أخرى، وقلبت الموازين، وجعلت كثيراً من الناس الذين لا قيمة لهم في أماكن التحكم والسيطرة، بل أيضاً تخريب الوطن، وهدر طاقاته وقدراته، والذي لا شك فيه يتمثل في أن عدداً لا يستهان به من المثقفين والأكاديميين والاقتصاديين الذين بقوا في سورية، بقوا تحقيقاً لمصالحهم وزيادة مكتسباتهم بانتظار الوصول إلى الخاتمة والنتيجة ليقوم واحدهم بتحديد موقفه النهائي، وذلك بعد أن يكون قد أدى دوره ومهامه المنوطة به من دوافع ذاتية أنانية حاقدة، وربما من جهات خارجية..

خلال سنوات الحرب قرأنا وسمعنا ورأينا

خلال سنوات الحرب تعرض المواطن السوري من شريكه لشتى أنواع التجاوزات، وتحمل ولم يستطع أي شيء أن ينال من رغبته في البقاء في وطنه، لا لشيء، إلا لأنه على يقين بأن الوطن يستحق الكثير، وأن ما يمنحه للإنسان من مكانة أهم من أي شيء، وإن كان السوري يفهم طبيعة الحقد الواصل من وزير ومسؤول سابق، أو من ضابط متقاعد، أو ضابط منشق، والذين ينفثون سمومهم وأحقادهم الشخصية على سورية وإنسانها، فإنه لا يفهم، وليس المطلوب منه أن يفهم الكم الكبير من الحقد والغدر الذي يطوله من الذين بقوا داخل سورية، وكأن بعضهم يقول له: هذا عقابك لأنك لم تخرج خارج سورية!

قبل إعمار البيوت لا بد من التنظيف والكنس والتجهيز من كل الطفيليات التي أخذت راحتها خلال سنوات الحرب، والتي استغلت الحرب لتقول عن أي شخص منتقد إنه ضد الوطن، وإنه معارضة وربما وصفوه بالمعارضة غير الشريفة! انتهى الوقت الذي يستطيع أحدهم أن يمارس تطهير نفسه وهو كله دنس وفساد، والذي يستطيع أن يقوم بشيطنة الآخر من أجل مصالحه ومصالح أزلامه ورؤاه الضيقة التافهة.. انتهى الوقت الذي يرى المدير مديريته له، والوقت الذي يرى فيه الوزير وزارته من ملكياته الخاصة، والذي يرى فيه الأستاذ أن رقاب طلابه من حقه ومن حقه وحده ولا أحد يحاسبه... انتهى الوقت الذي يمارس أحدهم قوانين خلّبية ومن صنعه على الناس بحجة واهية، وبحجج من صنعه! السوري الذي صمت وضغط على الجرح سيصرخ في وجه كل فاسد ومتجاوز وهاضم لحقوقه، السوري الذي غمر شهيده بأغنية للوطن يستحق أن يسمع صوته الناس في كل مكان، ويستحق نوعية أخرى من الذين يتولون أمره وشؤونه، ولا يفرضون عليه ضريبة البقاء في سورية، ولا يأخذون منه ضريبة على دم ولده الشهيد!!

الأم السورية التي نثرت رحمها من شمال سورية إلى جنوبها قادرة على وهب المزيد من غنى رحمها، وهي لن تتوقف عن حراسة دم ابنها الشهيد..!

السوري المقاوم والمنتمي

السورية المقاومة والمنتمية

عجز عنهما التآمر والعدوان، ولن يعجزهما – على الإطلاق – الصراخ في وجه كل عدو لسورية داخل سورية، وما أكثر هؤلاء، وستسترد سورية شخصيتها كاملة، كما استرد جنديها ترابها، وكما سيبقى ليسترد كل ذرة من ترابها..

السوري لن يقبل في الأيام القادمة إلا مسؤولاً لخدمته لا لسلبه حقوقه سعياً إلى استثناء، أو طي في غياهب النسيان. لن يقبل السوري ذلك المسؤول الذي يعد موقعه مخولاً له لاستعباد الناس وحاجاتهم وأجسادهم، السوري لن يقبل ذلك الذي يمضي وقته ساهراً متمتعاً بكل الملذات وهو غير قادر على الحصول على قوته! فملذات السيد المسؤول من دم الشهيد، وحقوقه وحدها له، لا مجال للسوري أن يقبل مسؤولاً يحمل السيجار الكوبي الفاخر مباهياً ولا يمتطي السيارة الفارهة هو ومن حوله من المدللين من الأسرة والأصدقاء والحوريات.. السوري لا يستحق أن يسهر المسؤول في مرابع النجوم التي لا يدركها العد وهو يحار كيف يحصل على قطعة من لحم وخضار .. السوري لا يستحق أن يصدم عينيه برؤية المسؤول يتباهى بأفخر أنواع المشروب، وهو غير قادر على شراب البودرة المغشوش، السوري لا يمكن أن يقبل تشدق كثيرين بالوطنية على حسابه لتسويغ اقتناص البيوت والعطايا والمال..!

حين يجد السوري ذلك المسؤول الذي يعطيه حقه ولا يراه خصماً، وحين يرى ذلك المسؤول الذي يتواضع ويركب سيارة عادية، وحين يرى المسؤول الذي لا يحتاج إلى هاتف لمراجعة في حق، وحين يرى المسؤول الذي يراه شريكاً ويشاوره في قراره، وحين يرى ذلك المسؤول الذي لا يقفل بابه... حين وحين تصبح سورية في قمة البناء الحضاري والإنساني والوطني، وإعمار البنيان يأتي تابعاً له، وتحصيل حاصل.. سورية ستنهض، ولن يحدث إلا بتكاتف أبنائها وبناتها ومسح الكمّ الهائل من الطفيليات غير المرئية في الداخل.. قد يحدث، قد يتأخر، قد يتسارع، قد يرحل بعضنا قبل حدوثه، قد يموت أحدنا بغصة الظلم، وهو يرى هؤلاء يظلمون ويسرحون ويمرحون، لكن الغد القادم سيكون مختلفاً، والمشروع الإصلاحي السوري سينطلق حتماً، ولن يكون قائماً على الطفيليين بل على المختمرين علماً ومعرفة وتجربة وانتماء.. سينطلق مشروع الإصلاح السوري وهو الذي يحدد وطنية الوطني بعمله وممارسته، وليس الأشخاص هم من يحدد الوطنية بعملية فرز مصلحية.

غداً ستشرق الشمس ونستيقظ على ولادة مشروع سورية الإصلاحي في كل ميدان وسيبدأ البناء الحضاري المذهل، فلا تخف أيها السوري، أنت وسوريتك باقيان وكل الطفيليين داخلاً وخارجاً سيرحلون من دون أن يشعر بهم حتى من يدفعهم إلى النهاية.

إسماعيل مروة

الدكتورة عزيزة مريدن في أول تكريم لها

أول امرأة سورية تُعين في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق وتعطيه حياتها

سوسن صيداوي

لكل امرئ تَوق يبذل لنيله والوصول إليه كل جهد وكل وقت وكل عاطفة وكل إيمان، وكلّما تعاظم تَوقه، تعاظمت معه وهجة شعلة النار الثائرة التي لا يمكن لشيء أو لظرف أو حتى لشخص أن يطفئها مهما بلغت شدّته أو إصراره. هي... تَوقها ميزّها عن كثيرات، لم تختر أن تكون زوجة أو أماً أو حبيبة، اختارت أن تكون رسول علم وعطاء لكل أجيال ستلحق بها، وقررت أن يكونوا كلّهم أبناءها الذين ستمنحهم كل العلم والمعرفة، وستقوم بتوجيههم التوجيه الحق وفقا لما يتطلبه منها إيمانها برسالتها، إنها الدكتورة عزيزة مريدن، ياسمينة دمشقية تربّت وفق الأصول تربية محافظة، وانطلقت من ثقافة وعلم عائلتها متابعة دراستها في مصر، حاصلة بعد الليسانس من جامعة دمشق، أولا على الماجستير ثم على الدكتوراه بدرجة مشرف جداً في مصر، لتعود وتتحدى بصبرها وإيمانها العميق، ولتقف جنبا إلى جنب، زميلة للرجل وندّا له في قسم اللغة العربية المعروف عنه بخصوصيته لأن كل من يدرس به من الرجال، درست ونجحت في الشعر العربي الحديث وليكون لها فيما بعد العديد من المؤلفات المهمة. تكريما لهذه القامة السورية– وهو أول تكريم–أقامت وزارة الثقافة ندوة«سوريات صنعن المجد»الشهرية الخامسة بعنوان«عزيزة مريدن المربية والأستاذة الجامعية» في قاعة مكتبة الأسد في دمشق، شارك فيها كل من: صفوان قدسي ومحمد موعد وماجدة حمود.

كلمة معاون وزير الثقافة

من بين الحضور كان معاون وزير الثقافة الأستاذ علي المبيض، الذي حدثنا عن دور المرأة وأهميته في المجتمع، إضافة إلى دور هذه الندوات في التعريف بنساء سوريات لا يمكن للتاريخ أن يقدم على نسيانهن، فقال: «أنا أعتقد أننا نظلم المرأة عندما نصفها بأنها نصف المجتمع، بل أنا أعتبر المرأة هي المجتمع كلّه، هي الأم التي أنجبت وهي الزوجة، وهي الأخت والابنة، والزميلة في العمل والشريكة في بناء الوطن، وقد أثبتت الأزمة صحة ما أدلو به، وخاصة أنها قدّمت أبناءها شهداء للوطن، إذا لدينا في سورية وفي هذا الوقت بالذات نساء فاقت الخنساء التي قدمت أولادها الأربعة، وهذه المرأة هي جديرة أن ننحني لها احتراما. أما هذه الندوات فهي مبادرة من السيد وزير الثقافة لترسيخ وتعزيز المرأة، السيدة عزيزة مريدن، ومن قبلها فتاة غسان، ومن قبلها ألفت الإدلبي، والأمثلة كثيرة للسوريات المجيدات، منها أيضاً ماري عجم ١٩١٠كان عمرها٢٢عاما عندما أصدرت مجلة العروس النسائية وهي أول مجلة نسائية في القطر، كذلك في عام ١٩٣٣كانت الدكتورة لوريس ماهر هي أول طبيبة في الوطن العربي، وأيضاً في عام١٩٤٤كانت مقبولة شلق أول محامية، إذاً النساء السوريات أثبتن عبر الماضي البعيد والقريب وخلال الأزمة أنهن نساء قياديات ورائدات».

كلمة مدير الندوة

بداية استعرض مدير الندوة دكتور إسماعيل مروة جانباً من السيرة الذاتية للدكتورة عزيزة مريدن قائلاً: «هي أستاذة الأدب الحديث في جامعة دمشق، بقيت كذلك حتى وفاتها عام١٩٩٢، هي من مواليد دمشق١٩٢٩، وهي من أسرة صاحبة علم وتحصيل، في الوقت الذي لم يكن فيه العلم والتحصيل متاحا للجميع، وخصوصاً للسيدات. درست في دار المعلمات في دمشق، ومن ثم تابعت تحصيلها في القاهرة بعد الليسانس في دمشق، وحصلت على الماجستير، ثم الدكتوراه».

وعن تعيين الدكتورة في قسم اللغة العربية أشار دكتور مروة إلى أن المواجهة وقتها لم تكن بالأمر الهين لخصوصية قسم اللغة العربية الذي يدرّس به عادة الرجال فقط، متابعاً «عادت عام١٩٦٦، تحمل شهادة الدكتوراه، وهي أول امرأة سورية تم تعيينها في قسم اللغة العربية في جامعة دمشق، وله خصوصية في الالتزام والعادات، ومن حسن المصادفات أن الأستاذ عبد الكريم الأشتر، كان هو رئيساً لقسم اللغة العربية، وهو الذي عمل على تعيين الدكتورة عزيزة التي كانت شريكته في مادة الأدب العربي الحديث».

وعن معرفته الشخصية بها لأنها كانت أستاذته التي لم توفر جهدا ولا وقتا في خدمة طلابها قال: «الدكتورة عزيزة مريدن كانت مدرسة من الطراز الرفيع، ودرستني ولم تتأخر يوماً ولو دقيقة واحدة عن محاضرتها. لم نسمع صوتها مرتفعا، ولم نسمع نزقاً منها أو نجد طالبا يحاول أن يزعجها، وكانت بدخولها إلى القاعة التدريسية وكأنها إنسان وطبيبة تدخل لتداوي هؤلاء الطلبة».

أما عن دورها في تغيير صورة المرأة السورية فتابع مشدداً «أنا أفخر لأنني أضع لهذه الأستاذة وردة لروحها وعلمها وإنسانيتها، وهذه أول مرة يتم فيها تكريم الدكتورة عزيزة مريدن التي رحلت بصمت، ولكنها استطاعت بعلمها وطموحها ومثابرتها، أن تعطي صورة مختلفة عن المرأة السورية، حيث إننا نجد صعوبة في أن يرغب الأهل في متابعة تعليم بناتهم، أو حتى تشجيعهن على السفر من أجله، ولكنها هي استطاعت ودرست في المغرب وفي السعودية، وكل مؤلفاتها تصب في خانة الأدب الحديث الذي أخلصت له كل الإخلاص».

الكلمة من القُرب

تحدث الأستاذ والسياسي صفوان قدسي بعبارات ممزوجة بالعاطفة والحنين لذكريات فترة كان فيها قريبا من خالته الدكتورة عزيزة مريدن، بداية عن نشأة خالته في كنف عائلة تقدر العلم حيث قال: «كنت أخشى أن أجنح في كلامي وأنا أصف عزيزة مريدن، وأن يصفني البعض بأن ما أقوله هو بسبب القرابة التي تربط بيني وبينها، فهي شقيقة والدتي، هي خالتي. دكتورة عزيزة نشأت في بيئة محافظة، بالمعنى الدمشقي لكلمة محافظة. والبيئة التي عاشت فيها هي بيئة مثقفين ومتعلمين، بل أكثر من ذلك كان هناك أعلام من الطب وهم الدكتور عزت مريدن الذي كان وفي أواخر الخمسينيات عميدا لكلية الطب في جامعة دمشق، وله إسهامات في اللغة العربية، وكنت أعود إليه في بعض المسائل التي تصعب علي. وأيضاً الدكتور موفق مريدن وهو أستاذ في كلية الطب، مختص في الجراحة العظمية. وخالتي الأخرى كانت من الأوليات اللاتي غادرن من سورية إلى مصر لتدرس علم التربية وعلم النفس».

وعن المعاناة والصعاب التي تعرضت لها دكتورة مريدن خلال مسيرتها أشار «د. عزيزة لم تكن تعاني مشكلات مع عائلتها، لأنها تنتسب إلى عائلة منفتحة، وفيها مجموعة من المتعلمين كأخويها اللذين كانا طبيبين معروفين، وشقيقتها كانت مجازة في علم التربية ودرست في مصر منذ الأربعينيات. نعم كان سفرها أمرا غير مألوف وهي من الحالات القليلة في ذلك الوقت. الدكتورة عزيزة نذرت حياتها من أجل العلم والتدريس، تخرجت في كلية الآداب بجامعة دمشق ومن ثم حضّرت للماجستير في جامعة القاهرة، ثم حصلت على شهادة الدكتوراه بدرجة مشرف جدا، وعندما عادت من القاهرة واجهت مشكلة في اقتحامها عالم التدريس في الجامعة في كلية الآداب، ولكن الصعوبات التي واجهتها كانت في العمل الأكاديمي، حيث كانت الصعوبات بمحاولات لمنعها من أن تحتل موقعها في جامعة دمشق وكلية الآداب في قسم اللغة العربية، لأنها أول امرأة تقتحم هذا القسم الذي كان كل أعضائه من الرجال المتشددين والمتعصبين، الذين لا يتقبلون فكرة أن يكون بينهم امرأة على مستوى من الأداء الأكاديمي الذي كانت تؤديه، وفي النهاية هي تجاوزت هذه المشكلات وتغلّبت على صعوبات كبيرة».

وبوح كلمات أ. مقدسي تابع وأخبرنا عن صفاتها الإنسانية التي ميّزتها ودفعتها إلى تحقيق حلمها مضيفاً أيضاً عن علاقته وقربه من خالته «د. عزيزة كانت سريعة الاستجابة، وإن استعصى عليها جواب، كانت تستمهل وتعود لمراجعها وتجيبني عما كنت أبحث عنه. هي مثابرة ومواظبة وشخصيتها حاضرة دائماً وتصميمها ساعدها بفرض نفسها في تحقيق هدفها، فمن غير ذكر أسماء كان هناك أستاذ متشدد بشكل كبير يقف ضدها دائما، وحاول بكل الوسائل أن يمنعها من الوصول ولكن الظروف لم تمكنه، فكان لها ما أرادت واحتلت موقعها في قسم اللغة العربية في جامعة دمشق. بحكم أن بيتها هو بيت أخوالي كان قريبا جداً من البيت الذي ولدت به ونشأت فيه في حي بستان الرئيس، لهذا التواصل بيني وبينها شبه يومي، وعندما سافرت إلى القاهرة ترددت إليها وزرتها عدة مرات حينما كانت تحضّر لشهادة الماجستير والدكتوراه، وبعدها أعيرت إلى المغرب وكانت في هذه الفترة معها زميلتها الدكتورة ليلى الصباغ. في النهاية أنا تعلمت منها الكثير، هي كانت صبوراً مثابرة ومواظبة الطموح، تكاد تكون زاهدة في حياتها من أجل العلم، ومن أجل المعرفة، وكنت أتعلم منها الكثير، وهي كانت تصحح لي ما يمكن أن أخطئ به في معلومة أدبية أو قاعدة لغوية من مسائل عديدة، وكنت أجالسها أحياناً وهي تكتب وتؤلف ولم يكن يضيرها ذلك رغم أنني كنت أتطفل عليها وربما أختلس من وقتها الذي هي بحاجة إليه. إذاً الجانب الإنساني أكثر من الكلام الذي قلته، وبقي أن أشير إلى أن مكتبتها كانت غالية جداً علي، حاول من لا يعرف التفريط بهذه المكتبة، فاستوليت بإذن ممن يلوذ بها قرابة أن أضم إلى مكتبتي بعضا من كتبها وهكذا فعلت».

كلمة لمن تبعها علماً

من جانبه تحدث أ. محمد موعد عن لقائه وهو في مقتبل عمره الدكتورة عزيزة التي شجعته كثيراً بعد أن اقترح عليها أن يقدم لها موضوع حلقة بحث بغير الموضوعات التي اقترحتها، وبالطبع لم تعترض، بل وافقت على أن يعد المحاضرة ويلقيها أمام زملائه، وإن فعل فستمنحه أعلى درجة، وبالفعل صدقت الدكتورة بكلامها ومنحته أعلى علامة بعدما أجاد في طرح الموضوع وتقديمه، وعندما جاء اسم أ. محمد موعد في جدول المعيدين كانت هي أول شخص قام بإخباره بهذه النتيجة، وحول هذا يقول «ما حصل معي يعكس شخصية الأستاذ الجامعي الحريص على طلابه، الأستاذ الجامعي القدوة الذي يتعلم منه الطلبة السلوك والخلق الكريم قبل العلم، فقد تعلمت من هذه الحادثة أن الأستاذ الجامعي هو الذي لا يتفرد برأيه، بل ينصت للرأي الآخر، حتى لو كان هذا الرأي يصدر عن طالب في المرحلة الجامعية الأولى، فهي قبلت أن أعد حلقة بحث من غير ما اختارته لنا من موضوعات... ولم تصادر رأي طالب في مقتبل العمر، بل شجعته إلى أبعد مدى عندما لمست صحة العزم منه، فأجلسته على كرسي الأستاذ الجامعي، وهو في وقت ربما لا يكون أهلا كي يعطي درسا لطلاب المرحلة الثانوية».

كلمة في جهود التأليف

من جانبها تحدثت د. ماجدة حمود عن د. مريدن التي «اختطت طريقاً جديداً في زمن كان معظم الدارسين يحتفون بالشعر التراثي، مساهمة بإطلاع طلابها على أحد أطوار الشعر العربي، الذي وصل إليها، وهو شعر التفعيلة، متابعة د. حمود في حديثها حول النهج الذي كانت تتبعه د. مريدن في دراستها «كانت مهمومة بأن تكون ثورة الشعراء ثورة تجمع الأصالة والمعاصرة، لهذا نال إعجابها أولئك الذين لم ينفصلوا عن تراثهم الشعري، فظلوا يستلهمونه، وفي الوقت نفسه حاولوا أن يضيفوا إليه بعض ما تأثروا به أثناء اطلاعهم على الشعر الإنكليزي وبذلك انفتح هذا الشعر على التاريخ والأسطورة، وانتبه إلى الإيحاء الرمزي للغة!

وبينت أن حركة تجديد هذا الشعر، تجاوزت الأوزان التقليدية القديمة التي ملّها الشعراء، إذ كانت مهمومة بأن تقتفي أثر أوزان الشعر الغربي... إلخ، فتحرر الشعر من النمط الإيقاعي المألوف في الشعر العربي».

اللغة العربية بين التشدد والتيسير

سارة سلامة

إن لغتنا العربية لغة غنية تتطور – كغيرها من اللغات– وفق قوانينها وضوابطها الخاصة، وإذا كان بعضنا يرى في هذا التطور خروجاً عن معيارية صارمة، فإن التأمل والتروي وحسن المحاكمة والبحث تفضي –غالباً– إلى أن ما تحمله لغتنا من خصائص ومزايا يسوغ معظم ما آل إليه التجديد اللغوي، ولا خوف عليها لأنها لغة تحمل في ذاتها عوامل بقائها وتجددها.

حيث صدر عن وزارة الثقافة –الهيئة السورية للكتاب، وعن سلسلة قضايا لغوية كتيب بعنوان «اللغة العربية بين التشدد والتيسير»، للدكتور ممدوح محمد خسارة، الذي تناول فيه الرغبة في الإسهام بجسر الهوة بين التشدد والتيسير، هذه المسألة، وغيرها، من مشكلات العربية المعاصرة والموقف من العامية والفصحى، ومن تعريب التعليم وتغريبه، واحتوى الكتيب على فصلين:

الأول: يتحدث فيه عن التطور اللغوي بين التشدد والتسامح، والدعوة إلى مصالحات بين دعاة كل منهما، وذلك بالوقوف على كلمة قدرنا أنها سواء.

والثاني: عن جهود مجامع اللغة العربية في التيسير اللغوي، ممثلة بمجمعي دمشق والقاهرة اللذين كانا أرحب صدراً في قبول الكلم الجديد وتسويغه.

في تطور دائم

يقول المؤلف في مقدمة الكتاب: «إن اللغة العربية في تطور دائم كغيرها من اللغات الحيّة، وذلك كي تستطيع مواكبة العصر الذي تعيش فيه بمتطلباته التواصلية والتعبيرية، ويتحقق هذا التطور بتوليد كلمات جديدة على أبنية لم ترد من قبل، من مثل: (باهت، وبخاخ، وغامق، وتوصيف)، أو جمع كلمات على أبنية لم تجمع عليها من قبل كقولنا: بؤساء جمعاً لبائس أو زهور جمعاً لزهرة أو نوايا جمعاً لنية.

أو جمع كلمات لم تجمعها العرب كقولهم: (أنشطة)، جمعاً لنشاط، إذ إن القدماء لم يجمعوا المصادر الثلاثية غالباً، أو صوغ مصدر على غير ما صاغته العرب نحو (استبيان)، إلى جانب (استبانة). كما يتحقق بوضع مئات آلاف المصطلحات العلمية، إلا أن هذه الأبنية المحدثة والدلالات الجديدة لم تكن دائماً موضع قبول من جميع اللغويين والنقاد، إذ انقسموا إزاءها فريقين: أحدهما: يستمسك بالتشدد، والتضييق أمام كل جديد، تخوفاً من أن يضعف ذلك حقيقة اللغة، أو يزعزع ثوابتها.

وثانيهما: يأخذ بالتسمح والتيسير أمام هذا الجديد، ويرى أن في خصائص اللغة العربية ما يجوّز الكثرة الكاثرة مما يولده أبناؤها للوفاء بمتطلبات التواصل اللغوي المعاصر والسليم».

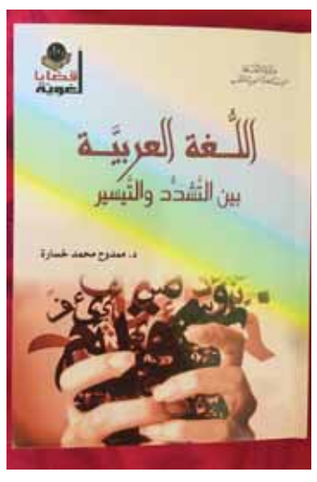

بين التشدد والتسامح

حيث تناول في الفصل الأول من الكتيب مسألة «التطور اللغوي بين التشدد والتسامح»، وأن الاختلاف في النظرة إلى الأمور والقضايا تحليلاً وتعليلاً من طبائع الأشياء ومن سنن الحياة، ولكن الاختلاف– وهو شيء مشروع وطبيعي– يمكن أن يهدأ ويقيد فيفضي إلى تعايش وتوافق، كما يمكن أن يصعد إلى نزاع فصراع، إلا أن ذينك الأمرين: التهدئة والتصعيد، ليسا عفويين، بل هما غالباً حصيلة جهد ثقافي تمارسه الأطراف المعنية بالأمر، على أمل أن يصب البحث في إطار جهود التهدئة والتوافق لا التصعيد، والتصارع بين أبناء العربية أو متكلميها، ولم يدر في خلدنا أن أي جهد توفيقي، مهما علا كعبه من العقلانية، والموضوعية، والتسمّح، قادر على إزالة الخلاف، لأنه كما قدمنا سنّة، وقصاراه أن يلجمه عن أن يتطور إلى تناحر، وإذا كنا نلحّ على نهج المصالحة فذلك لأننا نؤمن بأنه إذا كان النزاع عرقلة للتقدم نحو الأفضل فإن الصراع مقتلة له.

وكان من الطبيعي أن تخضع اللغة العربية وهي مع العقيدة ركنا الأمة وجناحا حضارتها لناموس الحياة في الخلاف والاختلاف، ولاسيما أن اللغة العربية أم لجميع العرب، وهم شركاء في ميراثها، فكما لا يجوز لبعض الأبناء ادعاء الإرث المادي لأبيهم من دون إخوتهم، كذا لا يجوز لنفر من أبناء اللغة أو متكلميها ادعاء ملكيتها، والحجر على الآخرين في حقهم في المشاركة والنظر فيما يرونه من صلاح شأنها أو صلاح شأن المتلاغين بها.

جهود مجامع اللغة

وتناول في الفصل الثاني مسألة «جهود مجامع اللغة العربية في التيسير اللغوي»، حيث أدى تطور أساليب التعبير في العصر الحديث إلى ظهور كلمات جديدة من أفعال وأسماء بدلالات محدثة أو على أبنية مستحدثة لم ترد في كتب الصرف، وكان للغويين وأساتذة اللغة في الجامعات مواقف متباينة منها، فبعضهم وافق على صيغ الاستعمالات الجديدة، وبعضهم عارضها بدرجة أو بأخرى، فكثرت مصنفات التصحيح اللغوي حتى أربت على الخمسين كتاباً ومعجماً، وهو ما أدى إلى بلبلة لغوية، أضيفت إلى مشكلات اللغة العربية المعاصرة، فيما يعده لغوي صحيحاً، أو ما يقره أستاذ جامعي، يعارضه زميله فيه، وقد تصل المعارضة إلى حد التلاسن، وإلى انقسام في طلبتهم تعصباً غالباً، فكان لا بد من قيام جهة علمية حيادية ومسؤولة، للنظر في الأوضاع الجديدة الشائعة والخلافية، وإقرارها ما يصحّ وتقبله اللغة منها، وردّ ما لا سند له في أصول اللغة وقواعدها.

ولا شك في أن أولئك المصححين اللغويين يستحقون الشكر على ما بذلوه من جهد، أصابوا فيه أم أخطؤوا ولكن الجهود الفردية –على قيمتها– قد لا تبلغ من الدقة والعلمية والاستقصاء ما يتوفر للجهود الجماعية المؤسسية، ونعني بها مجامع اللغة العربية في الوطن العربي، ولاسيما مجمعي دمشق والقاهرة اللذين جعلا من دراسة الألفاظ والأساليب والتراكيب المولدة والإفتاء فيها، من مهامهما الرئيسية.

ومن الملاحظ أن هذين المجمعين كانا أقرب إلى التيسير والتسمّح منهما إلى التشدد والتعصب، وما ذلك لرغبة في التسهيل وللموافقة الجديد الشائع من الكلم، بل انطلاق من أصول اللغة العربية، وتفعيل لخصائصها في التوليد اللغوي والتنمية اللغوية.